آزاد سبحاني

تعاليم الاسلام في ضوء الفلسفه الربانية

[redacted]

سبحاني ، آزاد .

الله والعالم .

76-0492 B.S.

[redacted]

ON 4'52

JAFET LIB.
22 JUN 1977

297.31
Su94tA

تعاليم الأسلام
في ضوء الفلسفة الربانيّة

الرسالة الأولى
الله والعالم

لمولانا آزاد سبحاني

شرح وترجمة
محمد معاذ

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١٩٤٩

مقدمة بقلم الدكتور يحيى الخشاب

صاحب هذا الكتاب من أعلام المسلمين المجاهدين فى بلاد الهند ، من الذين درسوا الإسلام دراسة وافية وكتبوا بلغته وبغير لغته مجاهدين فى سبيل دعوته حينا ومناضلين عنه حينا آخر .

ومولانا آزاد سبحانى فى غنى عن التعريف فهو العلاّمة الذى بدأ حياته فى الهند صاحب مدرسة بعلم فيها العلماء المتفقهين كيف يجدون من القرآن هديا فى حياتهم العملية كما لقوا فيه الهداية الروحية .

وقد رأى الشيخ أن الأمة الإسلامية مفككة العرى ورأى أهل الغرب وقد نزحوا اليها وأدخلوا مدنيتهم فيها ورأى المسلمين وقد بهرتهم مظاهر المدنية الغربية فانساقوا ورأها وأعجبتهم نظم أهل الغرب فاقتبسوا منها .

والشيخ يدرى ما يكنه القوم لأمة محمد ، يريدون أن يبتعد المسلمون عن هذا الدين الذى أفاء عليهم من النعم ما أفاء يوم عملوا به ، والذى أتاح لهم من الفتح ما أتاح يوم جاهدوا فى سبيله ، والذى هيأهم من أسباب الحضارة ما هيأ يوم أقاموا دولتهم على أساس من تعاليمه .

فهو يدعو إلى أن يتحد المسلمون فى « الأمة الاسلامية » اسلامتان وهو يدعو إلى المثل العليا التى أقام الدين الحياة العملية عليها . وفى دعوته تنبيه للغافلين أن يفيقوا ، ودعوة للحاكمين أن يتخذوا من كتاب الله أصول

حكمهم ، ودعوة للمسلمين عامة أن يتمسكوا بدينهم تمسكا عمليا ليكونوا أمة عزيزة فى الأرض .

أما المترجم فهو صديق الاستاذ محمد معاذ ، وقد أتيح له أن يصحب مولانا آزاد سبحانى فاستمع إليه ثم كتب ما أملى عليه . وصديق الأستاذ معاذ يمتاز بذكاء موروث وبحس دقيق فأحسن أى إحسان حين أخرج هذه الدعوة النفيسة للنـــاس ؟

يحيى الخشاب

فهرس الكتاب

صحيفة

مقدمة بقلم الدكتور يحيى الخشاب مدير المطبوعات والأستاذ بجامعة فؤاد الأول . . . . . .

مقدمة وتحليل بقلم الدكتور عبد الوهاب بك عزام وزير مصر المفوض بالمملكة السعوديه . . . . . .

صورة للمؤلف — مولانا آزاد سبحانى من كبار الفلاسفة وعلماء المسلمين بالهند . . . . . .

صوة للمترجم — الأستاذ محمد معاذ الرقيب بإدارة المطبوعات بوزارة الداخلية . . . . . .

٩ شرح ومقدمة بقلم المترجم . . . . . .

كلمة الدكتور عبد الله عثمان السندى الهندى دكتوراه فى الفلسفة

٢٥ بجامعة كولومبيا بأمريكا . . . . . .

٢٨ مقدمة للمؤلف صاحب الفلسفة . . . . . .

٣١ الفصل الأول — الله موجود . . . . . .

٤١ الفصل الثانى — الله الخالق . . . . . .

٤٩ الفصل الثالث — الله المثل الأعلى الأوحد والهدف الأخير .

٥٢ الفصل الرابع — العالم . . . . . .

٥٥ الفصل الخامس — الإنسان والعالم . . . . . .

مهمة عظمى للأسلام . . . . . .

الحركة الربانية . . . . . .

مقدمة وتحليل بقلم الدكتور عبد الوهاب بك عزام

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

١

لقيت الشيخ آزاد سبحانى فى القاهرة مرات وهو شيخ صوفى مخشوشن متواضع حديث معنى بأمور المسلمين مفكر فيما يصلحهم ويصلح البشر كافة .

٢

والفلسفة الربانية التى دعا إليها فى الشرق والمغرب تقصد إلى هذا الاصلاح ويمكن رد مقاصدها إلى مقصدين أصليين .

الأول : تمكين الإيمان بالله فى النفس الإنسانية لترتفع بهذا الإيمان إلى الدرجات العلى وتعرف صلتها بالله وبالعالم . وتقدر مكانة الإنسان وواجبه فى هذه الحياة

والثانى : أن يسيطر الإنسان على هذا العالم ويتصرف فيه ويعرف أنه خليفة الله فى الأرض فيعمل دائبا لعمران الأرض وإصلاح الناس فيسعد ويسعد الناس أجمعين بمعرفة الله والإيمان به والتوجه إليه أصل كل خير فى الإنسان . ولا يجدى الإنسان علم دون معرفة الله .

ولكونه تعالى هو العلى الأعلى وأنه جل شأنه هو منتهى ما فى أعماق سر الوجود من الحقيقة المحجبة فكل علم وكل معرفة دون معرفته هو . ودون إدراك وجوده هو الجهل والضلالة والتجرد من الخير والصلاح الحقيقى (١) .

ثم المعرفة لا تكفى « والمهم العمل بهذه المعرفة » فالعلم وحده مجردا عن التنفيذ والفعل لا جدوى منه . والعلم الأصم الذى لا ينتج ولا يتبعه العمل نقص وجمود وكلاهما ضياع وضلال مبين (٢) .

والانسان كسائر ما فى العالم خاضع لقوانين الربوبية ولكن له طبيعة خاصة

---

(١) ص ٣٨ من هذه الرسالة (٢) ص ٣٩

فيها الاختيار وحرية الارادة فعليه ما يناسب هذه الطبيعة من الواجبات وخلاصة هذه الواجبات ثلاثة .

الأول : أن يسلم الانسان وجهه إلى الله فتفنى النفس فى الفكر والذكر والعمل

والثانى : من الواجبات أن يتغلغل الانسان فى الكون فينفذ من بيئة الانسان إلى الحقيقة العظمى ليملك الكون ويسخره .

والثالث : تمكين الربية فى صميم النفس والكون ليضطلع بأداء وظيفته طبقا لحاله الخاصة بوصفه خليفة الله بمعنى أن يبسط سلطانه على الكون كله نيابة عن الله بغية ربية الكون . وأن يكون فى حكمه صافى النفس غيوراً أشد الغيرة متبعا مقتضيات المشيئة (١) .

٤

هذه الفلسفة الربانية ليست بعيدة عن فلسفة الاسلام بل هى كما قال المؤلف إجتهاد فى الفلسفة الاسلامية والفكر الاسلامى (٢) وهى تنظيم آراء العلماء المسلمين وكبار الصوفية . وهى ليست بعيدة عن دعوة الشاعر الفيلسوف (محمد إقبال رحمة الله) التى بينها وصورها صورا شعرية فى مقطوعاته ولا سيما المنظومتان « أسرار خودى » و « رموز بى خودى » .

ونحن نرحب بكل دعوة روحية صالحة تقصد إلى رفع الانسان إلى الكمال الروحى وحفزه إلى الجهاد الدائب فى هذه الحياة بالعدل قصدا إلى عمران الأرض وسعادة الناس .

٥

لم أطلع على أصل الرسالة فى اللغة الانكليزية وأرى أن بعض عبارات فى الترجمة العربية يعوزها تحرير العبارة ووضوح البيان لتجلى هذا الموضوع الفلسفى الدينى ولعل الأصل نفسه فى حاجة إلى الوضوح .

ولا شك أن الأديب الفاضل محمد معاذا قد بذل وسعه فى الترجمة والتنقيح وقد احتمل — جزاه الله خيرا — مشقة ونفقة لينشر هذه الرسالة حرصا على نشر ماتدعو إليه . ووفاء لصاحبه الأستاذ آزاد سبحانى . جزاهما الله خير الجزاء ولقاهما كفاء نيتهما من فلاح وسعادة والسلام .

جده ١٦ صفر سنة ١٣٦٩ هـ

٧ ديسمبر سنة ١٩٤٩ عبد الوهاب عزام

---

(١) ص ٤٧ من الرسالة (٢) صفحة ٢٩ .

(المؤلف)

مولانا آزاد سبحانى ربانى

الفيلسوف المسلم الهندى

الأستاذ محمد معاذ (المترجم)

بسم الله الرحمن الرحيم

حامداً ومصلياً : وبعد فقد شاءت الإرادة الإلهية أن ألقى مولانا آزاد سبحانى ساعة قدومه إلى القاهرة يوم ٩ مايو سنة ١٩٤٧ فى طريق عودته من أمريكا إلى موطنه بالهند ، وكان من توفيق الله أن لازمت صحبته طيلة مقامه بالقاهرة في انتظار باخرة تقله إلى بومباى حتى ساعة إبحاره من ميناء السويس على الباخرة « وندرش » صبح يوم ١١ من شهر يونيه من تلك السنة .

واتصل الفيلسوف بجمعية الشبان المسلمين وأنزلته فى ضيافتها مدة وجوده بمصر ، وأقام له المركز العام للشبان حفلاً في ٢٧ من مايو ١٩٤٧ حضره نخبة من رجالات مصر ومنهم العلماء والوزراء والفلاسفة وجمهور كبير من أهل الفكر وعلية القوم ، وقد خطبهم وتبادل الأفكار مع كثير منهم فى الشئون الدينية والفلسفية فأدهشهم منه سعة أفقه وغزير علمه وإحاطته الشاملة بكل ما يتصل بماضى الإسلام وحاضره وتاريخه — وما يراه من الوسائل العملية لإحياء مجده وتقوية شوكته وعلاج أدواء المسلمين كافة أفراداً وشعوبا وتوجيههم عملياً لما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، ورفع مستوى المسلمين خاصة والناس عامة بتقوية الروح وطرح المادية

وبث الفضائل وتطهير النفس من الأنانيـة والجشع والشراهة والذاتية ، وتربية الأخلاق وتقويمها ، والأخـــذ بأسباب الرقى البشرى عن طريق العلم والمعرفة والبحث ورفع مستوى المسلمين روحياً واجتماعياً .

ولقد ظفرت بأوفر حظ من مصاحبته وملازمته ساعات النهـار وأغلب ساعات الليـــل مدة شهر كامل ، أملى علىّ فى أثنائه صحفا من فلسفته الخاصة التى تعرف بالفلسفة الربانيـــة ، وزودنى بتعاليم قيمة ، وهدايات تهدف إلى نشر الفلسفة الربانية وتعميمها فى جميع الأقطار إســـلامية وغير إسلامية ، وغايتهـا رفع مستوى المعيشة لأفراد البشر بتوجيه مجهود العمل الدنيوى إلى الخير العام فى نطاق السعادة الروحية .

وقد أقام فلسفته الخـاصة مستوحيا أسسها من كتاب الله وتعاليم القرآن المجيد ومن الأحاديث النبوية وما استخلصه بتعمقه فى تتبع هذه التوجيهات الربانيـــة للبشر مستشهدا بقوله تعالى فى سورة آل عمران : « كونوا ربانيين » ومن الحديث القـدسى عبدى أطعنى أجعلك ربانيا تقول للشىء كن فيكون ، وما ورد فى سورة المائدة عن الربانيين

وقد تحدى بفلسفته الخاصة كل ما سبقهـا من الفلسفات فعارض الهندوكية والفلسفة اليونانية وفلسفة المتكلمين — ونهج فى اجتهاده نهج الغزالى والأشعرى وهو معجب باضراب جمال الدين والامام محمد عبده فى جعلهم الفلسفة مقدمة وتمهيداً ، والدين مذهبا ، لأنه يذكر المسلمين

عامة أن الإسلام دين فلسفة وسياسة ونظام وحكم وأخلاق وعلم قبل أن يكون مجرد عقيدة .

وقد صنف كتبا فى الدين بعضها فى اللغة الهندوستانية وبعضها في الأردية أو العربية ، ووضع فى أثناء زيارته لأمريكا عام ١٩٤٧ رسالة باللغة الانكليزية هى التى كلفنى بتعريبها وطبعها ونشرها فى البلاد المصرية والأقطار العربية

وقد أسس مولانا آزاد جمعية ربانية بنيويورك ، تقوم بإرشاد الأمريكيين والتبشير بينهم بالدين الاسلامى وتفهيمهم أحكامه وأصوله وروحه وآدابه ، كما أسس هيئات ربانيـــة كثيرة فى الشرق والغرب كخطوة أولية وحلقة بدائية لربط الأمم والشعوب الإسلامية على اختلاف أوطانهم وألوانهم وألسنتهم ودرجات حضارتهم ورقيهم العلمى والثقافى .

وهدفه الأخير رفع المسلمين أفرادا وشعوبا إلى تبوء مركز الأستاذية المهذبة والمربيـة لجميع العالم ، وبث روح المعزة والحاكمية وإشاعة تعاليم الإسلام السمحة والروحيـــة بين الناس ، ومحاربة الميول اللادينيـة التى تغلغلت فى الأمم عامة إســـلامية وغير إسلامية والقضاء على الإباحية واللامبالية والفجورية والمادية والأنانية والاستعمارية . وتطهير المسلمين من عوامل الجهل والتواكل والاستمتاع الذاتى والانغماس فى

الترف وتركهم الروحية والتحلل من كل قيد دينى مما ترتب عليه الانحطاط الخلقى والفجور والتفريق الفاحش بين الطبقات فى غير ضرورة ولا لزوم — فكان سببا فى تفشى الحرمان والفقر والتهالك بين الأمم على الاستعمار والتغلب على الشعوب المسالمة والصغيرة مما سبب الحروب والتدمير والتطاحن والتسابق فى التسلح واستنباط أدوات الهلاك وتدمير المدنيات فى أقطار الأرض ، وكل ذلك من تغلب المادية على الروحية .

نشأة صاحب الفلسفة وسيرته

ولد آزاد سبحانى بمدينة إسكندرپور من أعمال المقاطعات المتحدة فى أعالى الهند فى عام ١٨٨٢ وهو هندى وطناً مسلم ديناً عربى نسلاً من بنى فاطمة الزهراء أماً وبنى العباس أباً — عالم فى الدين وفيلسوف بفطرته — دينى وسياسى عملاً معلم وكاتب فناً — تعلم فى المدارس العربية بالهند وتفلسف فكراً بمحض مجهوده — مقلداً فى الدين ومجتهداً فى العلم — فلسفته الفلسفة الخاصة التى سماها الفلسفة الربانية وتكاد تشتهر بهذا الاسم .

اشتغل بالتدريس سبعة عشر عاما فى مدرسته الخصوصية التى أسسها بنفسه وأشرف على إدارتها وأطلق عليها اسم (الجامعة الإلهية) وهى باقية إلى الآن فى بلدة جور كپور بالمقاطعة المتحدة بالهند وقام بالتدريس فيها للمتخرجين والطلبة فقط يعلمهم فلسفة الدين للدفاع عنه من الثورات الفلسفية على الدين وخصوصا لرد الفلسفة الهندوكية التى كانت هاجمة على الدين هجوماً عنيفا — ثم مال بطبعه إلى السياسة حين رأى أن الإسلام والمسلمين فقراء فى السياسة العالية ، وتأثر أشد التأثر بالحوادث التى نزلت بالعالم الإسلامى تتابعاً واستمرارا كحوادث طرابلس واغتصابها من أيدى أهلها المسلمين وكالبلقان وغيره .

وانزعج انزعاجاً كلياً (هذا كله من تعبيراته الخاصة وكتابته بنفسه عن نفسه) حين وقعت فى بلدته «جور كپور» حادثة هدم مسجد فيها ،

فثار فى نفسه وترك التدريس واقتحم دنيا السياسة حيث وجه كل قواه واقتداره إلي أن سجنه الانكليز فإذا ما خرج من محبسه صار عريقاً فى السياسة محيطاً بأسرارها ومراميها الظاهرة والخافية ، على أن سياسته من بدئها كانت سياسة دينية هدفها الإسلام والانسانية فقط .

درس وخطب كثيرا وصنف وألف قليلا ووضع بالهندوستانية كتاب علم العقائد وكتاب فلسفة الدين والرد على الفلسفة الهندوكية وقد طبع الأول والباقيات تحت الطبع وقد وقف نفسه الآن على التأليف .

ومولانا آزاد سبحانى من مؤسسى فكرة الباكستان وقدأقام لنشرها جمعية « علماء الإسلام » متعاونا فى هذا الميدان مع جمعية « مسلم لك » ولكنه زعيم خاص وداعية لفكرة (الاسلامستان) ولفكرة الخلافة الربانية ، وله حزب خاص وجمعية خاصة يعرفان بالحزب الربانى والجمعية الربانية — وهو يزمع تمثيل فكرة الباكستان فى فكرة الاسلامستان والخلافة الربانية أيضا ، وهو في الوقت الراهن وقف جهده على خدمة فلسفته الربانية . وأول خطواته فيها تفسير الدين فى ضوء الفلسفة الربانية بجعل الفلسفة مقدمة والدين مذهبا . وأول مصنفاته فى هذا الباب هذا الكتاب (تعاليم الاسلام فى ضوء الفلسفة الربانية) .

سافر آزاد سبحانى إلى أوروبا لمشاهدة أحوالها فى الدين والفلسفة ولتبادل الأفكار مع رجال الدين ورجال الفلسفة ، وحيل بينه وبين

الحصول على جواز للسفر إلى ألمانيا أو إيطاليا فاكتفى بزيارة انجلترا وفرنسا ودرس أحوالهما وقابل علماءهما ثم ذهب إلى أمريكا فأقام فيها خمسة شهور أسس خلالها فى مدينة نيويورك الجمعية الربانية وألقى فيها نحو أربعين محاضرة ودرّس فلسفته تدريساً — ثم رجع إلى مصر فى طريق أوبته إلى الهند على نحو ما سبق القول.

ورأيه فى قيام دولة الباكستان أنه غير قانع بما وصلت إليه الجهود حتى الآن إذ هو يعتبره محققاً لربع الباكستان أو الباكستان التابع غير المستكمل الاستقلال ويدعو الله سبحانه وتعالى أن يخلق منه ما يحقق الثلاثة الأرباع الباقية حتى يصير الباكستان أو الاسلامستان الكامل لا الناقص والباكستان المستقل لا التابع.

الفلسفة الربانية وأهدافها

١ — أساسها رفع مستوى المعيشة لأفراد البشر فى نطاق السعادة الروحية بتوجيه مجهود العمل الدنيوى إلى الخير العام لا إلى الأنانية والأثرة والنفسانية والذاتية — بل إلى التربية العامة للخلق وصيانتهم وتدبير أمورهم وفق النظام الإلهى ومبادىء الدين القويمة والاستمساك بعروته والتخلق بآدابه وإحيائه وتجديد روحه ومعناه لا مجرد رسمه وشعائره السطحية ومظاهره النقلية والتقليدية والجمودية والخرافية والوهمية — وإنما بإحياء الأمة الاسلامية الجامعة وتقوية الروح الاسلامية

فى صميم الأقوال والأعمال والحركات والتصرفات مع الاستغراق الكلى فى الايمان الراسخ والاعتقاد الجازم بأن الإسلام هو النظام الأول والآخر لإصلاح البشرية وتحقيق سعادتها لا فى الدوائر والآفاق الإسلامية فحسب بل وفى كل بيئة وأمة وجماعة إسلامية كانت أو غير إسلامية .

وأن تستقر فى نفس كل مسلم صادق ربانى عقيدة جازمة بأن الاسلام على مبادىء الربوبية يجب أن يظل الكون بأسره وأن يأخذ مركز الآمرية والأستاذية المهذبة والمربية للعالم ، لا أن يظل راضياً بحاله مقرا بالمذلة أو المحكومية أو العبودية لأى ملة أو أمة أخرى غير إسلامية بأى صفة أو سبب أو وسيلة استعمارية وحاكمية تظهر .

٢ — على كل مسلم ومسلمة أن يفهم ويعلم ويدرك أن الاسلام بحالته الراهنة هدف للفناء والموت بسبب العوامل الآتية :

(ا) تسلط المادية الاستعمارية وشيوعها فى الأمم غير الاسلامية .

(ب) السياسة اللادينية التى عمت الأقطار جميعاً مسلمة وغير مسلمة ، وأساسها الاستمتاع والانغماس فى المادية النفسانية والذاتية وترك الربوبية التى هى روح الاسلام ومعناه ووجوده ، إذ الاسلام الحقيقى جامع فى مبادئه الأساسية والفرعية لكل ما يحتاج إليه الانسان فى سياسته ومعاملاته ونظام حياته وسعادته دنيا وأخرى ، ومن ثم وجب إحياء الدين وبعثه .

٣ — اجتماع الوثنية والمسيحية واليهودية اشتراكا أو انفرادا ، ولو على غير ارتباط أو تآمر مقصود على قهر الاسلام والأمم الاسلامية وإبادتها بكل الوسائل فى السلم والحروب وبأسبابها وظروفها الطارئة أو الدائمة .

٤ — غفلة المسلمين فى كل بلد وقطر ومملكة عما يراد بهم واندماجهم فى محيط اللادينية والتقليد الغربى والأخذ بعادات وأخلاق وطباع ومدنية العالم غير الاسلامى اكتفاء بمظاهر ثقافتهم وعلومهم (والعلم لذاته محبوب ومطلوب ولازم) ولكن الثقافة شىء آخر فهى بالمعنى الافرنجى تهدف إلى اللادينية واللامبالاه تمشياً مع مبادىء حرية الفرد وحرية الفكر ومايسمى بالاشتراكية أو الديمقراطية أو البلشفية لفظاً وقولا ، ولا معنى لكل ذلك ولا نتيجة إلا الانحدار والانحطاط فى الإنسانية الكاملة والبشرية الصافية ، فى حين أن الاسلام الحقيقى لا السطحى والمظهرى هو فى الربوبية حيث يكون جامعاً لأسمى مبادىء الرقى الانسانى وهو فى ذلك أسمى وأعظم وأعم وأرقى درجات البلشفية والاشتراكية والديموقراطية والحرية الخ تلك الأسماء والألفاظ ومدلولاتها المخترعة .

الاسلام خلاصة الانسانية ، والمسلمون هم خلفاء الله فى الأرض لاجراء الربوبية فيها نيابة عن الله وبأمره .

فما تقدم يعلم يقينا لا وهماً ولا ظناً ولا خرافة أن بقاء الاسلام

ودوامه مستحيل إطلاقا أمام هذه العوامل المهلكة التى بعضها موجود وآخذ في الاستفحال والانتشار فى العالم الاسلامى نفسه وفى العوالم المحيطة به من الخارج ولا سبيل لدرء هذا الخطر المحقق الذى لا بد أن ينتهى إليه أمر الاسلام والمسلمين جميعا (بغير استثناء أمة واحدة) - الا بربط الشعوب والأمم المسلمة ببعضها ، وتوثيق العلاقات بين أقطارها أينما تكون وفى أى جنس أو لغة أو لون هى .

فيجب أن يعتبر المسلمون جميعاً (أمة مسلمة جامعة) تكوّن جسما واحداً ، كل أمة مسلمة عضو فيه سواء كان عضواً مهما أو ثانوياً صغيرا أو كبيرا جاهلا منحطاً أو مثقفا بالغ حد الرقى والعلم

ولن يتيسر ذلك بأى حال أو يسهل الوصول اليه إذا ظلت كل أمة مسلمة منفردة منقطعة راضية بكيانها المحلى وقوامها الذاتى مع تفرق أهدافها وتشتت كلمتها بل واحتقار من عداها من الأمم الاسلامية بسبب درجة حضارتها أو لونها أو جنسها أو لغتها .

لأجل هذا

أسست الجمعية الربانية أول الأمر فى أمريكا لأنها البلد الوحيد الذى يمكن فيه تأسيس أى رابطة دينية ، أو علمية أو اجتماعية فى مأمن من عداء الاستعمار وترصده ووسائله الممقوتة المشهودة فى غيرها من البلاد الأخرى ، ولأن الشعب الأمريكى بحسب مادرج عليه من حرية الفكر

وعدم استمساكه بدين معين استمساكا تعصبيا وجنونيا شعب يسهل نشر الدين الاسلامى وتعاليمه الحقة فيه وتلك التعاليم (هى الفلسفة الحقيقية الصحيحة للحياة والنظام والرقى الانسانى بأتم معانيه) .

الربانيـــة

آدابها وصفاتها وهداياتها

الربانية حقيقة (عملية) لا خيالية ولا وهمية وأساسها « الانسان المكمل » وحلقاتها ثلاث :

(١) (الروحانية) : بمعنى تهذيب النفس ، وتقوية الروح ، وتطهيرها من المادية والأنانية والكبرياء والاستمتاع الذاتى .

(٢) الاقتصادية : بمعنى استكمال أسباب الاستغناء عن الغير وبث روح العمل ، والنشاط ، والكسب لاستجلاب المعزة والقوة فى سبيل الخير العام والصالح العام ، والقضاء على الفقر والمذلة والحرمان .

(٣) الحاكمية : بمعنى تربية الخلق تربية روحية تقوم على مبادىء الدين ، وهى مجموع الأخلاق والصفات الكريمة وأهمها العدل والمساواة والرحمة والمحبة .

صفات الربانى

لا يعتبر المسلم ربانياً إذا هو لم يملك الوقت ويتحكم فيه ويصونه من الضياع والعبث . فلا ينبغى له إضاعة دقيقة من العمر فى لغو أو كثرة كلام فى غير ضرورة أو نفع ، لأن ذلك مضيعة لجزء من وقته وبمعنى آخر قتل لجزء من عمره (والعمر قليل والعمل كثير) .

قال تعالى فى وصف أصحاب الرسول ﷺ (والذين هم عن اللغو معرضون) وكانت هذه تربية الصحابة الكرام . واللغو يشمل القول والفعل . وكان لهذه الصفة أثر وسر فى ظهور الاسلام وغلبته وعظمته رغم الفقر والجهل وقلة العدد ، فإنهم خلقوا القوة والمال والمعزة وفتحوا الدنيا بتقاليدهم الأخلاقية ، واتباعهم الأعمال دون الأقوال — والاستغراق فى العقيدة والاخلاص الحقيق لا التظاهر والادعاء — وفي إصلاح باطنهم وانقلاب أحوالهم ظاهراً وباطناً خُلقا وعملاً وقولاً ونية وسلوكا .

وأول درجات الاصلاح الباطنى فى المرء « السكوت » فأن الصمت سر النجاح وكثرة الكلام إضعاف لمجهود الفكر ونقص وشل له ، فأنه إذا ما تكلم اللسان سكت الفكر ، وإذا سكت الفكر فلا إنتاج ولا تصميم ولا تدبير ولا إختراع . وإذا وقف الفكر انطلق اللسان ، والأقوال لا نتيجة لها ، ولا ثمرة بل إن الله تعالى يحاسب الناس على

الأعمال لا الأقوال ، وإنما توزن الأعمال يوم الحساب لا الأقوال ، وعلى قدر الأعمال يكون الثواب أو الجزاء .

ألا وإن من أسرار تقدم الانجليز ورقيهم وغلبتهم وسؤددهم تمسكهم بصفة السكوت وقلة الكلام ، إلا عند الضرورة القصوى ، وفيما يكون له نتيجة وأثر عملى فالانكليزى لاينطق إلاعند اللزوم وبمقدار ، وحتى إذا أمكن قضاء أمر أو طلب شيء فأنه يفضل إشارة خفيفة على اللفظ فاذا دعا داع للكلام فقول مختصر مفيد بغير ثرثرة ولا شرح وتطويل ولا تكرار وتفصيل .

وهذه الصفة تكاد تكون معدومه فى الشرقيين إطلاقا متعلمين وجهال ، يسأل أحدهم من يصادفه على غير معرفة فى سفر أو صحبة : ما أسمك وما عملك وما أهلك وأولادك ومقصدك ، وماذا تحب وماذا تكره وهو لا يستطيع أن يمنع نفسه من هذا الفضول لعدم تعوده السكوت ، وإن ذلك لمن سوء الخلق .

بل كثرة الكلام من صفات الجهال ، والسكوت من مميزات الفلاسفة والعلماء والمخترعين ، إذ أن فى الصمت استجماعا للفكر والاستنتاج ووضعاً لأسس العمل والانتاج .

ولعدم تمسكنا بهذه الصفة العظيمة على سهولتها وإمكانها فأن حياتنا تستمر من بدئها إلى نهايتها في كلام وأحلام وجمود وتأخر وفناء

بينما هؤلاء يرقون ويتقدمون يوماً بعد يوم بل ساعة بعد ساعة ويزدادون علماً وقوة وغنى وكمالا . وكل هذه الصفات منقولة أصلا وتقليداً عن تعاليم الاسلام وعن أوامر القرآن وعن أدب الله الذي أدب به الخلق عن طريق كتابه الحكيم فاتبعها غير المسلمين فصانتهم وأبقت على وجودهم وبوأتهم مبوأ السلطان والحاكمية والغلبة على المسلمين الذين أضاعوا سلطانهم بترك دينهم وفقدوا وجودهم بإضاعة آدابه وعدم التمسك بروحه وحقيقته اكتفاء بالتمهيدات ، والشعائر الشكلية ، والسطحية ، والتقليدية فحسب .

والربانى يهدف إلى المثل الأعلى بالفكر ، والنظام ، والمال ، والجاه والانقلاب الكلى فى شخصيته وقولا وعملا فهو أبداً طالب للمعالى والكمال عن طريق ترك ملذات الدنيا والتفرغ الكلى لله والاستغراق فى عبادته ، فهو واقف موقف المجاهد المحارب لنفسه ليتغلب عليها ويكبح جماحها ويربى شخصيته على التقوى وصالح الأعمال ، رقيب على نفسه فى المهم والتافه من تصرفاته وعلاقاته بالناس ، مرب لها على تقوى الله وتطهيرها من كل نقص ورذيلة وقصور نابذ للشهوات وتارك للذات ، وإنه لمدرك كل غاياته من الارتقاء إذا صمم وركز إرادته فارادة الله تتبع إرادة العبد فى دائرة تصرفاته الشخصية وحريته الذاتية

وإن الله سائق لعبده الأسباب والتوجيه إلى طريق إرادته العليا ، وهى الخير دائما ، فهى تقوده إلى أوائل سبل مطالبه وأغراضه .

وأذن وجب على الانسان أن يموت في سبيل الوصول إلى غايته العليا من الكمال والرفعة ، فهو إذن ناجح وإن لم يصل ، لأن العمل القاطع والتصميم الثابت فوز وإن لم يتم .

وكذلك ترك اللذات وحرمان النفس من شهواتها يعادل فى اللذة الحصول عليها إن لم يفق ، وإذا لم يصل الانسان إلى تحقيق هدفه الأسمى وغرضه الأعلى فى أمر ، ومات دون بلوغه فهو لا يشعر بملل أو خيبة بل إنه أبداً مستشعر اللذة باقتحام الشدائد واجتياز العقبات وانحصار فكره وترسم سبيله والتصميم عليه ، بل يعتبر أنه وصل وفاز وان لم يصل .

الصدق

الصـــدق مقبول لذاته لا لأن الناس قبلوه ، فالناس يعملون على الاتصاف به لأنهم يتشرفون به صفة لهم وليس الصـدق بمتشرف بأنهم قبلوه .

الرفعة والعظمة

ونظامها الذكر بالقلب والفكر بالذهن والشغل بالجسم . هذه من تعاليم الربانيـــة كما أن سلم الصوفية ثلاث : قلة الكلام ، وقلة المنام ، وقلة الطعام .

أسهل الأشياء أصعبها

لأن السهل هين لا يتطلب توجيه قوة لتنفيذه اعتمادا على سهولته ويسره وبساطته ، فالأمر السهل متروك ومؤجل إنجازه يوما بعد يوم وعاما بعد عام إلى أن يهمل إطلاقا ويترك .

وإذا لم يبدأ الانسان بالخطوة الأولى فى أى عمل — وهى أسهل الخطوات فلن يبدأ بالأصعب درجة بعد درجة لأنه لا ينتهى من الأسهل البدائى ليبدأ بما يليه من الأصعب وهكذا — ولأجل هذه الحكمة الحقيقية فأنى صممت متوكلا على الله على انجاز ترجمة الرسالة الأولى لمولانا آزاد سبحانى . «تعاليم الإسلام فى ضوء الفلسفة الربانية» تنفيذا لرغبته وقياما بما عاهدته عليه ، وإنها للخطوة الأولى فى سبيل خدمة الإسلام خاصة والبشرية عامة — والله المسئول أن يجعل فى ذلك الفائدة والخير العميم بجاه سيد المرسلين ؟

محمد معاذ

تعريف

شجعتنى ثقة مولانا آزاد سبحانى في مقدرة الشباب على أن أكتب مقدمة لهذه الرسالة النفيسة — فرأيت أن خير ما أقوله أن أعرّف القراء من أهل الغرب بشخصيته الجبارة العاملة :

ولد آزاد سبحاني بمدينة اسكندر پور من أعمال الولايات الهندية المتحدة حوالى ١٨٨٢ ، وتلقى علومه الأولية بمدارس الهند القروية وهى المدارس الاسلامية حيث تدرس اللغة العربية ، والدين الاسلامى مع الفلسفة اليونانية باللغة العربية وكانت وقتئذ من مناهج التعليم القديم الذى درجت عليه تلك المدارس .

وسرعان مانار عقله الفاحص النقاد على فلسفة الأغريق العتيقة فأنكرها وبدأ يفكر فى وضع أصول فلسفة جديدة تخدم الدين وتصلح أداة للبحث عن حقائق الحياة البعيدة الغور فأنشأ لهذا الغرض «المدرسة الالهية» فى مدينة جونور بالهندوقام فيهابتدريس الفلسفة الدينية خاصة مدي سبعة عشر عاما وجه فيهـــا كل تفكيره وعنايته إلى القواعد الأساسية والعناصر التى تنشأ عليها فلسفتة مكفولة التقدم مضمونة النجاح.

ثم تحولت أهدافه فجأة إلى الوطنية والسياسة الهندية فقطع هذا الاتجاه عليه متابعة بحوثه العلمية فترة من الزمن ، ولم يتحرر من تيار السياسه إلا فى الزمن الأخير فعاد عاكفاً على متابعة غايته الأصلية وسار

فى طريق نشرها قدما وسماها : « الفلسفة الربانية » — ولم يسعفه الوقت بعد ليتيح له تدوين فلسفته الجديدة هذه. بيد أنه نشر آراءه الأولية فى رسالتين صغيرتين فى اللغة الهندستانية وهما « فلسفة الدين » و « دليل الربانية » ثم هذه الكلمة الموجزة وقد ألفها باللغة الانجليزية .

وما تعلم آزاد سبحانى الانكليزية فى أى معهد أو مدرسة ، وإنما تلقنها دراسة اجتهادية — وذكر ذلك اذ يقول إنه تعلم أن يكتب وأن يقرأ اللغة الانكليزيه اثناء زيارته الأخيرة لأمريكا — وانه من دلائل عبقريته حقا أنه استطاع فى فترة وجيزة من الزمن أن يكتب بهذه اللغة رسالته الخطيرة فأنه وطأ الأرض الأمريكية فى أواخر أكتوبر عام ١٩٤٦ فقط أى منذ شهرين ونصف .

أما غرضه الأوحد من زيارة أمريكا فالاستزادة من المعلومات والمشاهدات التى رأى ضرورة جمعها والإلمام بها لتدعيم فلسفته الربانية وتغذيتها بعناصر إضافية عن طريق مشاهداته الشخصية للحياة فى هذه البلاد وتبادل الآراء مع رجال هذه الأمة العظيمة .

ولقد كان هذا الغرض نصب عينيه عند ما سافر من قبل ذلك سائحا فى أرجاء الشرق الأوسط وغرب أوروبا وهو يرى أنه لازال واجباً عليه أن يزور باقى أنحاء الكرة الارضية فى سبيل إتمام مقصده العظيم .

والمؤلف بوصفه فلسفته الربانية انما يعرضها كفلسفة عالمية تخدم

الانسانية وتوفي بحاجاتها والواقع أن الفلسفة الربانية وأساسها « تدبير الخلق وحفظ النوع الانسانى وبقائه » ليست مجرد فلسفة نظرية جامدة، ان هى الا الفلسفة البنائية العملية فى الحياة ، فاذا هى نجحت فى أن تجمع من حولها الآراء النابهة على الحقائق الأساسية فانها لابد آخذة بيد الانسانية وانقاذ ها من مهاوى الهلاك التى تتردى فيها .

جامعة كولومبيا ٣/١/ ١٩٤٧ — عبد الله عثمان السندى

مقدمة

وضعت هذه الرسالة تحقيقا لجانب من أغراض الفلسفة الربانية — وهدفها خدمة الاسلام والإنسانية .

ومن أغراض هـذه الفلسفة وتوجيهاتها محو الجهالة وإزالة الجمود اللذين غشيا فى الزمن الأخير تعاليم الإسلام السامية وحجبا عن الأفهام إدراك حقيقته وروحه .

أما هدف « الفلسفة الربانية » فازالة الجهل والقضاء عليه — وأما الحركة الربانية فالجهاد فى سبيل تحقيق ذلك — وهكذا يلتقى كلاهما عند غاية واحدة هى أن تصبح هذه الدعوة محور الدائرة لمحيط جميع الآراء والحركات التى قامت على مثل هذه الخدمة من الإحياء والإصلاح .

ووضعت هذا الـكتاب بداية للمبتدئين فهـو إذن لا يخاطب العقول التى أوفت على الـكمال ، فهؤلاء يدركون من ثنـايا بحوثه ما تتقبله عقولهم وتطيب به نفوسهم بما يلائم مبلغ شـأنهم من الفهم والتبحر والتعمق .

والـكتاب حلقة أولى من سلسلة متتابعة تتلوها أخرى نرجو أن تكون فائدتها على قدر ما أرجو لهذا الـكتاب من نفع وثمرات .

ولعل هذا الكتاب هو الأول من نوعه فى تاريخ الإسلام على ما أعلم ، وهو كذلك فريد فى نوعه وحيد فى طريقة عرضه للتعاليم الأساسية للإسلام ، ومن ثم فهو عرضة لأن يساء فهمه عند أولئك الذين يحكمون على كل بحث اجتهادى أو نظرية علمية فى الإسلام بأنه شىء مناهض للدين ، فكل رجائى من كل ناقد من أضراب هؤلاء أن لا يعجلوا بالحكم ، وأن يسألونى ما شاءوا قبل الجهر بحكمهم . ولهم علىّ أن أجيبهم راضياً ملبياً لكل ما يسألون ، نعم عليهم أن يستفهموا منى عما يريدون وعلىّ ايضاحه وتبيانه .

لاشك فى أن هذا الكتاب يدعو الى الاجتهاد فى الفلسفة الإسلامية والفكر الاسلامى — ولا بد للناقد أن يعلم أولا بأن الاجتهاد تقليد فى الإسلام من عهد الأشعرى والغزالى ، فاذا جاء « سبحانى » يبغى إحياء الاجتهاد فانه إنما يعمل على غرار هذا التقليد العظيم ووفق منهاجه لا ضده ولا معارضا له ، وأخيراً فانى مقر بأن أسلوب هذا الكتاب ولغته وان كانا من محض اجتهادى الا أننى مدين لصديق الكريم عبد الله عثمان السندى الهندى الذى تعمق فى الفلسفة الربانية وهو الآن متقدم لطلب الدكتوراه فى الطب بجامعة كولومبيا لما ساهم بعلمه وكمال خبرته فى تصحيح لغة الرسالة وتنقيح أسلوبها فى تصرف حكيم أظهرها بالوضع الذى صارت فيه طبعاً وعرضاً ، فالى فضله أسدى عظيم شكرى ووافر حمدى وتقديرى لنصيبه من هذا العمل الجليل .

وبالرغم من كل هذا لا يزال فى بعض التعبيرات أخطاء وقصور تأتى من أسلوبى الخاص ولم يتسن تنكب الوقوع فيه .

على أنى أرجو من القارىء الكريم أن يتجاوز عنها ، مركزاً كل عنايته واهتمامه فى تتبع المعانى دون الألفاظ ، وأن يكون أكثر اتجاهاً بنفسه الى الجوهر دون الشكل .

والله جلت قدرته هو المسئول أن يكلأ هذا المجهود اليسير بظل ربوبيته وأن يجعله محقق النفع صالح الثمرات .

آمين بحق سيد المرسلين .

خادم الإسلام والإنسانية
(سبحانى ربانى)

الفصل الأول

الله موجود

أول مبدأ أساسى فى الإسلام هو أن العالم ليس خالياً من موجود كامل هو روح الكون وسر سره، وهو (الله) الموجود. والحقيقة الوحيدة الكاملة أنه تعالى جامع وحده للكفالة الكاملة للخلق والعالم، وهذه هى أخص صفاته إذ كل ما خلاه من الكائنات حقيقة غير كاملة وغير ثابتة البقاء وغير تامة المسئولية والكفالة.

والدليل على ذلك سهل يسير، انظر إلى أى كائن فى الوجود وأمعن الفكر فيه من حيث الحقيقة والثبات والمسئولية تجده ناقصاً غير كامل فى شىء من هذه الصفات. وإن أردت المزيد من البرهان الدال على هذا النقص والقصور وانتفاء الكمال فى الأشياء فانظر إلى الانسان، وهو أقرب الأشياء إلى الكمال، فلن تجد إنسانا تاماً كاملا إذ لا بد من وجود نقص أو جملة عيوب فى أى ناحية فيه. فقد يكون المرء جميلا، ولكنه ناقص عقل أو يكون عاقلا ولكنه مجرد من الجمال أو الأخلاق وهكذا، فكل شخص حاز فضيلة من الفضائل أعوزته فضيلة أو فضائل أخرى، ومن ثم فلن تجد فى الناس من جمع فى شخصه كل المحاسن أو كل الفضائل

ثم انظر إلى الشمس تحسبها تامة الكمال من حيث حرارتها ونورها وما في ذلك من جليل الفوائد وعظيم المنافع لبقاء الكائنات على وجه البسيطة ، ولكنها بعد كل ذلك كتلة من مادة ملتهبة تهلك حرارتها الحياة فى المناطق الحارة ، وإذن فهى ليست مصدراً للخواص الأخرى الضرورية للحياة .

وانظر إلى القمر ومظهر الكمال المنبعث من هدوئه الرائع ونوره الساطع ومظهره البهيج الجذاب . إنه ناقص من ناحية أخرى ، فليس فيه شيء من خواص الدفء والحرارة الضرورية لحياة ما على الأرض . وحسبنا هذان المثلان . والواقع أن النظر الدقيق إلى حقائق الأشياء الموجودة فى العالم يدل على أن جميعها ناقصة ، وبعبارة أعم فقل إن الكون بمجموع ما فيه من مادة كائن ناقص غير كامل وغير تام .

وهنا وجب أن ندرك أن بقاء الأشياء الناقصة بغير الاعتماد على موجود كامل أمر محال استحالة كلية ، لأن النقص والبقاء الذاتى المستقل أمران متناقضان إذ انعدام الكمال فى الشيء موجب لانعدام بقائه واستمرار وجوده .

وكذلك النقص دليل على أن الشيء إنما يستمد وجوده من مصدر آخر ، وآية ذلك أن البقاء التام المستقل بذاته يجب أن يقوم بنفسه لا بالانتساب إلى أى مصدر آخر ، فضلا عن أن الوجود الكامل المستقل يجب

أن يحوز فى ذاته جميع الأشياء الأخرى التى هى من مستلزماته وضرورياته.

فمما سبق تتضح الحقائق الآتية :

(ا) كل شىء وكل كائن فى العالم (كل ما هو فى الكون) غير كامل وغير تام ، أى أن العالم كله غير كامل .

(ب) بقاء غير الكامل بقاء مستقلا بنفسه دون أن يستمد بقاءه من كائن كامل أمر مستحيل .

وأخيراً فخلو العالم من كائن كامل يترتب عليه استحالة البقاء لكل ما فى العالم . وما دام العالم وما فيه باقياً وموجوداً فهذا دليل وجود كائن كامل فيه ، وتكون هذه النتيجة حقيقة مقررة ثابتة

هذا برهان فلسفى وعقلى على وجود كائن كامل تام فى العالم ، وإليك دليلا مستخلصا من الظواهر الطبيعية يثبت وجود كائن كامل ، ومن بين الأدلة الكثيرة على ذلك نكتفى بإيراد دليل واحد منها على سبيل المثال .

توجد نظرية حقيقية علمية ثابتة ، وهى أن لكل سبب مسببا ، والعكس لا بد لكل علة من معلل فمتى تقرر ذلك فوجود الأثر الظاهر دليل قاطع على وجود المؤثر أو المسبب .

فمظهر وجود غصن وورقة وظل ، أو وجود موج أو تيار كهربائى دلائل على حقيقة وجود شجرة وبحر و كهرباء .

وعلى ذلك فجميع الأشياء غير الكاملة هى مسببات أو آثار أو تيارات وأمواج لـكائن حقيقى هو أصل السبب والمصـدر الأعلى لجميع الآثار والظواهر والأسباب أو المظاهر التى تشاهد فى العالم .

وبناء على ما تقدم فمظاهر جميـع الأشياء غير الـكاملة التى تكوّن في مجموعها (العالم) إن هى إلا مظاهر وصور للـكائن الـكامل على العموم أو تقريبا على وجه العموم .

ومشاهدة هذه المظهريات هى فى الحقيقة مشاهدة الكائن الكامل ، غير أن هذه المشاهدة وهذه الرؤية تنصب على الأثر لا الذات ، بمعنى أن الإنسان يدرك مظاهر الـكائن الـكامل لا ذاته . وليس هذا بمستغرب ولا مناف للمنطق ولا للدليل العقلى .

إذ أن معرفة الإنسان ومنتهى علمـه ، ناقص وقاصر ، وبصره محدود القوة والمدى ، بل إنه مازال عاجزاً عن رؤية الأشيـاء غير الكاملة التى يزخر بها الـكون والتى لها أجسام وأشكال وهيا كل وصور مادية وتكوين ملموس . وما دامت الرؤية المباشرة للأشياء غير الـكاملة وهى ذوات مشكلة ومجسمة مستحيلة فلا عجب أن تكون المشاهدة المباشرة للكائن الـكلى الكامل وهو لاشكل له ولا مثال مستحيلة استحالة كلية .

ولكن كون إدراك الأشياء غير الكاملة (المنظورة) إدراكا ضعيفاً

أو قاصراً غير مستحكم المشاهدة أحياناً لايفيد انعدام وجودها فوجودها أمر مسلم به وحقيق . وفى هذا القدر ما يكفى للإيمان بوجود الكائن الكامل أو السبب الأعظم أو المصـــدر الأعلى عن طريق المشاهدة لمظاهره وآثاره .

وأخيراً فمن حيث أن الكائن الكامل يعرف من طريق الظواهر الطبيعية فكذلك يكون وجوده أمراً ثابتاً محققاً مؤكداً ، فيجب الإيمان به كحقيقة عليا للكمال الأعظم .

والإسلام عرّف هذا الكائن الكامل بلفظ الجلالة (الله) ومعناه الحبيب . وفهم هذا المعنى لحقيقته تعالى فهماً سطحياً يؤدى إلى حقيقة عظمى هى أن أول صفات الكائن الكامل (الألوهية) وأن جميع مايتعلق بشأنه وما يتصل بمظاهره وأفعاله الجارية والتى حدثت والتى ستحدث نتيجة مسببة عن حب عاطفى وليست بقائمة على سبب آخر . وينشأ عن هذه الحقيقة أنّ خلق الكائنات طراً ووجودها وسر حركتها منبثه الحب الألهى ، وهذه الحقيقة هى سر حقيقة الحياة .

فمن شاء أن يحيا الحيـــاة الطيبة وأن يسلك سبيلها فعليه بسلوك طريق المحبة ، المحبة ليس غير ، المحبة التى لايشوبها أثر يخالف أصولها ولو فى أبسط أجزائها وأتفه مظاهرها .

والإسلام يهدى الى أن الله تعالى هو المصدر الأعلى للخير كله ، وأنه

تعالى له الصفات الحسنى ، وأنه منزه عن النقائص والصفات الذميمة ، وأن أخص صفاته (الربوبية) بمعنى القيومية على شئون خلقه وتدبيره وحفظه ، وهذه هى محور جميع صفاته الأخرى التى تدور حولها وتتعلق بالربوبية .

وبهذا التعريف والارشاد قرر الإسلام حقيقة عظمى ومقصداً كلياً هو أن الكون بأسره قائم على أساس (الربوبيّه) ، البقاء الأزلى له وحفظه وصيانته وتدبيره ، وأن الكون مزدهر عامر بفضل (الربوبية) التى هى صفة الله وشُغْلُه . ومعنى ذلك أن كل دابة فى الكون وكل ذى حياة مدين بوجوده وبقائه لقوة الربوبية للعالم المحركة المهيمنة المسيطرة عليه (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) .

وصفة الربوبية . هى ملكوت الله وشأنه وعمله ولأجلها وجب التسبيح والتمجيد . وكل حمد وثناء وعبادة وتقديس مهما بلغ وكيفما يكون يجب أن يرجع سببه الى هذه الحقيقة العالية ، وكل إجلال وإكرام لا يوجه ولا يرفع الى الربية هو لغو وعبث وباطل وضلال مبين .

أوضحنا أن الله تبارك وتعالى ، هو الكائن الكامل ، وهو روح المحبة ووكدنا أن صفته العليا هى هذه الألوهية ، أى صفة « المحبة » ثم انتقلنا بالاثبات بعد ذلك الى أن أولى صفاته الربوبية ، أى التربية ، العامة للخلق ، ورب سائل عن العلاقة والصلة بين صفتى « الألوهية

والربوبية» مقارنة وموازنة ، وأى الصفتين لها الأولية تقديراً وأيتهما لها المقام الثانى ، وما دام القصد من ذلك البحث مجرد المقارنة والترتيب فاعلم أن الصفتين فى المقام الأول معاً قدراً وعظمة وكل مابينهما من فرق هو أن الألوهية لها المقام الأول بين صفاته تعالى الغريزية الوصفية الذاتية فى حين أن الربوبية لها المقام الأول بين صفاته تعالى العملية .

اما العلاقة بين الاثنتين فهى أن صفة الألوهية (المحبة) هى الجذر وان صفة الربوبية هى الثمرة — الالوهية هى المحركة والمسببة — والربوبية هى الأثر — الألوهية هى الفاعل المبدع المتصرف — والربوبية هى الفعل ، والأثر .

ثانيا — اعلم أن الربوبية ، « القيومية » صفة عالية تعم الكون وتشمله وتسرى فى كل كائن فى العالم ، وأنه تعالى المصدر الأعلى لهذه الصفة الكونية الذى تفرد بها وكملت فيه — غير أن كل كائن قادر على أن يمضى فى البحث والتعمق وراء معرفته بأن ينشد طريق الوصول إليه قدر إمكانه .

سؤال : ما الذى يتمثل فى هذه الصفة الأساسية ، صفة الانفراد بالربوبية .

وجوابه : وحدانيته ممثلة فى اتحاد حالات أربع .

(١) العالية — أى الكونية (٢) الرحمانية — أى المحبة مندمجة فى

الرحيمية ، أى الشفقة والرحمة (٣) المالكية أى الملك والتملك (٤) الديانية ، أى العدل والحكمة ، واعلم أنه تعالى وقد انفرد وحده بالربوبية فقد جمع فى ذاته الحالات الاربع — ولكن بما أن روح الله تشمل العالم كله وتتخلله وتحيطه ففى مقدور جميع خلقه الوصول إلى معرفته أو الاجتهاد فى الوصول إلى قربه لأقصى درجات ذلك القرب

ومن أخص خصائص الربوبية وأثرها أنها تشغل جميع الأذهان وترسخ فى صميمها وتسلك فى اعماقها وتحتل قرار شعورها وتتغلغل فى وجود كل الكائنات العالمية . والاسلام يحض على وجوب معرفة الله وجوباً ولزوماً يبلغان أعلى درجات الإمكان واقصى حدود الاجتهاد .

وإنه لكونه تعالى هو العلى الأعلى وأنه جل شأنه هو منتهى ما فى أعماق سر الوجود من الحقيقة المحببة ، فكل علم وكل معرفة دون معرفته هو ودون ادراك وجوده هو الجهل والضلالة والتجرد من الخير والصلاح الحقيقى وان وراء ذلك الضلالة والهلكة وأسوأ مهاوى الخيبة والخسران .

ومن حقه سبحانه وتعالى على عباده أن يعرفوا حقيقته ليؤدوا له حقوق المحبة والعبادة ولينشدوا طريقه اذ أنه وحده هدف الأهداف لغاياتنا وآمالنا وأعمالنا وتوسلاتنا وإن إليه تعالى توجه الأعمال ويرفع الدعاء وترجى الوسيلة وينحصر الحب ورسوخ الايمان وتركيز الرجاء والتوكل وثبات العقيدة فى أنه أبداً دائماً هو السميع المجيب ، وهو وحده المولى المعين والملجأ المجيد — إذ المحبة والعون من أخص صفاته الحقيقية نحو عباده .

هذا ومجرد العرفان بكل ذلك لا يكفى ، والمهم العمل بهذه المعرفة . فالعلم وحـــده مجرداً عن التنفيذ والفعل لا جدوى منه ، والعلم الأصم الذى لا ينتج ولا يتبعه العمل نقص وجمود وكلاهما ضياع وضلال مبين ، نعم لا خير فى علم بلا عمل ، بل فى ذلك الضرر كل الضرر ، كما أن الجهل فى كفرٍ وإنكارٍ هو أم المصائب وشرها .

ألا وإن الإنسان ليطمع أن يحيط علماً بكنه الله وهويته ، أسوة بما يجرى على أساس إدراك الماديات والمرئيات ، ذلك مطمعه ونسى أنه محدود البصر ، فهو ما فتىء شاغلا خاطره مردداً فى خلده الأسئلة الآتية :

ما شكله وصفته ؟ أهو فى داخل الكون أم خارجه ؟ أأبدى سرمدى هو أم لبقائه منتهى ؟ محدود أم غير محصور ؟ خفى محجوب أم ظاهر ؟ مادى أم روحى ؟ بعيد أم قريب إلخ هذه الخواطر والخوالج .

والجواب على كل هذه الاستفهامات منحصر فى لفظين (أنه الكائن الكامل) والكامل حتماً محيط وشامل لكل الكائنات الناقصة ، وعلى ذلك فانه تعالى ذو ذات وليست على صورة خاصة بل هى ذات شاملة محيطة لا حدود لها ولا قياس .

كل الأشكال والصور التى فى العـــالم ظاهرها ومنظورها خفيها ومحجوبها ، صور لله الكائن الكامل من حيث كونها تجليات له ،

على أنه بعد كل ما توضح فانه تعالى ليس كمثله شيء ، فليس له شكل وليس له سمت طالما أن كل شكل وكل ذات لها حدود وقياس بينما هو تعالى غير محصور ولا محدود فهو داخل الكون كما أنه خارج الكون، لأن الكون له حدود وهو من تجليات الكائن الكامل الذى لا حصر له ولا نهاية ولا حدود ، إنه المحيط الشامل المتجاوز فى المدى كل حدود . وهذا إيضاح يبنى عليه الحكم فى كل مايساق فى البحوث الأخرى لمعرفة الله من حيث هو الكائن الكامل .

انتهى

الفصل الثانى

الله ـ الخالق

من تعاليم الاسلام أن الله تبارك وتعالى منزه عن العطل والبطالة فهو خلّاق ومنشىء على الدوام والاستمرار فعّال لما يريد بقدرته التى لا تنتهى.

ولأن قدرته جل شأنه غير محدودة فكذلك صُنعه غير قاصر ولا مقيد بل بالغ منتهى العظمة والابداع بكيفية ووسائل لا يحيط بها العقل ولا يدرك سر كنهها الادراك لكونها مخالفة تماماً لجميع ما نعرفه بعلمنا وما نتصوره بافهامنا من طرائق العمل وأصول الصناعة ووسائل ابداعها وممارستها.

أما ما هى الكيفية وما الصفة التى تؤدى بها أعماله التى لا حصر لها ولا احاطة فانها أولًا وقبل كل شىء الرّبية — الربوبية بمعنى التربية العامة للخلائق والقيام على حفظ الكائنات ودوام بقائها بعد أن خلقها وسواها وأبدعها وأوجد مركباتها وعناصر تكوينها. (اعطى كل شىء خلقه ثم هدى).

فالمشيئة (الارادة الالهية) ومشيئته هذه تفوق كل القوى وتجاوز نطاق كل الممكنات لدرجة انها تقوم مقام جميع العوامل الفعالة فى الكون وتسد مسدها تنهض بما فيه من طبائع وأدوات وعناصر وخواص ومؤثرات، وانها لكافية لاظهار بدائع الكون وابراز معالمه ومكوناته

ومشتملاته وتكييفها . يجرى كل ذلك بقوة المشيئة الالهيـــة بعلل متنوعة وأسباب مختلفة مسخرة لها — وجميع مقومات هذه الأسباب أى جميع القوى الفعالة فى آفاق الكون يغير استثناء إن هى الا رهن الارادة الالهية وهى علل وأسباب مسخرة لنفاذ تلك الارادة وحدها دون أى مصدر أومسبب غيرها ومصدرتنفيذ مشيئته تعالى هو (أمره)، كن ، وأمره هذا من القوة والنفاذ بحيث لا راد له ولا دافع ، ولا حيلة لعصيانه أو مخالفتـــه أو تعطيله (لا مرد لأمره فى أقطار الكون ومحيطاته) ، وذلك هو السر الهائل فى عجيب إحكامه والسر العظيم فى الانسجام المدهش والتوافق العجيب المنظم فيما بين العـــوالم الكونية بأسرها .

وهناك طريق آخر تنفذ عنه المشيئة اختص الله بها عالم الانسان ذلك العالم الذى يختلف عن غيره من الكائنات الاخرى بكونه ذا ارادة حرة وتصرف اختيارى الى حد .

ولذا فالمشيئة الالهية رسمت للانسان أسباب التوجيه للبدايات والسلوك فى العالم البشرى — وهذه الوسيلة وسوق الأسباب من العمق والخفاء والسر المحجوب بحيث لايتأتى للعقل الاعتيادى ان يصل الى ادراك خصائصها او كشف غامض سرها — اذ ان ذلك من شأن النبيين والأولياء والفلاسفة المتصوفين — استجلاء دلالاتها وكشف خفاياها . على ان هذه الوسيلة هى بغير شك ، المؤثر الفعال الأوحد — ويمكن

تحقيق معرفتها طبقاً للقدر الذى تؤذن به المشيئة الالهية ايضاً — وهى المشيئة التى لا يقف فى سبيل نفاذها شىء ولا يعترض طريقها صعب ولاعائق بالغاً مابلغ ، — فتقود الى طريق الارتقاء والتدرج فى معارج الوصول الى حيث تبلغ الهدف الأخير وغاية الغايات .

هذا ايضاح للهداية والتوجيه — ولها سلسلة متتابعة من الأعمال والسلوك والنظام والوسائل التى تهبط من لدن الذات العلية فتجرى فى العالم الانسانى وتسلكه وتنفذ فيه بوساطة الانبياء والكتب المنزلة ومن أوتى علم الكتاب من اهل القداسات والفلاسفة .

مما تقدم يتضح أن أولى صفات المولى جل وعلا صفة « الربانية » بمعنى تدبير شؤن الكون وحفظ ازلية بقائه — (الأمداد بعد الايجاد) الحفظ والتدبير والتنظيم . ولعل سائل — ما هى الحكمة في العقاب والانتقام والعذاب والفناء. وما السر المغلق على الالباب دون تعليل لحكمة كل ذلك وما المعنى المراد من فرض العبادة والتقديس والتسبيح للخالق بشتى الشعائر التى تصل احيانا الى درجة ان تصير هذه الفروض عبئا لايطاق وحملا مرهقا شاقا صعب الاحتمال ؟ ومادامت هذه التكاليف المفروضة على الانسان لربه لا تتناسب ولا تتفق مع وجود الربية اذن فما علتها وما الحكمة فى وجوبها — أوليس من الضرورى فى حق الكائن الكامل أن يتطلب الحمد والشكر والعبودية تلقاء الربية وفى مقابلها وهى أصلا من شأنه الخاص ومن خصائص صفاته الأولية — وما تفسير ذلك وتعليله

بينما كل مخلوق فى الكون لا يبتغى شكراً ولا ينتظر حمداً ولا ثناء على فضل أو نعمة يؤتيها وجميل يسديه ماخلا صنف الانسان ذلك المخلوق الضعيف — فكيف بالعلى الأعلى ذى الجلال والاكرام وهو الموجود الأسمى يفرض هذا ويوجبه ويحث عليه ويشدد الأمر بادائه وهو اكرم الأكرمين

فلإيضاح العلة وجلاء الحيرة فى هذا الأمر يجب بادىء بدء أن تعرف بعض أشياء ضرورية للغاية حتى يسهل فهم حقيقة ربية الله .

(فأولا) جاهد لعرفان نوع العلاقة بين الله والعالم ، ومن حيث أدركت أن الكون مظهر ومجالى لله (وليس بذات الله) وأنه مكون من أجزاء عديدة وجزئيات كثيرة وقوى وخواص شأنها كالضلوع والأمعاء والحواس والجوارح وكثير من القوى والملكات التى تكوّن فى مجموعها انساناً كاملاً ، أى أن هناك صلة طبيعية موجودة ومشاهدة لهذا الوضع ، بين الانسان الحى فى مجموع تكوينه وبين أجزاء جسمه وأعضاء هيكله المستقلة المتنوعة ، فكذلك المثل الأعلى فيما بين الله الموجود الكامل وبين اشياء الكون ومركباته ومحتوياته تشبيهاً تاماً فى أن كل جارحة وكل عضو فى الهيكل الانسانى مطالب بأداء وظيفه خاصة فكذلك العوالم الكونية بما فى ذلك الانسان تؤدى وظائف وعليها واجبات معينة ومسئوليات خاصة.

وكل كائن بشر أو غيره من أنواع الخليقة يتطلب من كل عضو من أجزاء تركيبه أداء وظيفته على الوجه الأكمل فان عجز العضو أو توقف عن الأداء ووقف عن متابعة نشاطه حاول الشخص اصلاحه

وعلاجه ما أمكن ذلك فان تعذر العلاج واستعصى الأصلاح وجب البتر والتخلص منه عند الضرورة وذلك عين الصواب والعدل بالنسبة لغريزة الربوبية المتغلغلة فى كيان كل انسان شأن الأدوات والأعضاء الماثلة فى جرمه الضخم ، ومتى صح هذا القانون فى تطبيقه على كل كائن فى العالم فهو أكثر ملاءمة وأشد لزوماً بالنسبة للمولى من حيث ربيته لكل شيء مما يعتبر فى الحقيقة جزءا فى جرم نظامه الهائل المتجلى فيما يعرف بالكون .

فان قلت بعدم جواز هذا بالنسبة للخالق وتنزيها له عن اجراء البتر فى الأجزاء المكونة للعالم — تحاشيا من أن ينسب إلى الربية أو الربوبية معنى الابادة وهلاك الكل لمصلحة جزء واحد — فاعلم أن الربية لا تخضع لهذا المعنى السخيف ولا تحتمل جوازه إذ الربية معناها بقاء الكل وحمايته فى غير تردد فى اجراء الاصلاح والتقويم — او الابادة والهلكة تصيب بها اى جزء فردى فى المجموعة الكونية عند الاقتضاء .

(ثانيا) النوع البشرى معتبر بصفة عامة واحداً من أقسام الخلائق التى يتجلى فيها مظهر الخالق سبحانه ومن ثم فان على عاتق البشر أيضاً واجبات وفروض شبيهة بالواجبات والتكاليف المفروضة على غيرها من الكائنات الاخرى بحسب نصيبها فى الاداء المشترك لينهض الانسان أيضاً بنصيبه فى خدمة المشيئة الالهية القاضية بنفاذ أمر الله وظهور تجلياته فى التدبير والصيانة الأبدية .

(ثالثا) الانسان كغيره من العوالم الأخرى مسخر وخاضع لناموس الربوبيـة المتعلقة بالتكوين والتدبير والقيّومية والأبادة والتجديد والأحياء بل القانون الأعظم قانون التطور والنشور .

(رابعا) من حيث أن النوع البشرى له طبيعته الخاصة من حيث الصلاحية والاستعداد للنهوض بواجبه فأنها بذلك تتطلب واجبات معينة تناسب احواله التى اخصها صفة الاختيار وحرية الارادة المطلقة وتهالكه على التسلط والسيطرة والتحكم فى العالم بأجمعه فى لمحة خاطفة وطرفة عين بل لواستطاع الاستحواز على ربه إما من طريق الخضوع والعبودية له وهى ناحية من نواحى الغريزة البشرية — وإلا فبالناحية الأخرى فيه وهى التى تتمثل فى الجحود لبارئه والكفر بكل شىء حتى نسيان خَلقه وإنكار وجوده والتردى فى مهاوى الضلالة الفاشيه التى تنتهى به الى الهلاك وهذه الصفات المزدوجة فى الأنسان وتلك الغرائز الجامعة للمتناقضات والأضداد تستطيع اتخاذ وجهة الخير والفلاح تبعاً لاستعداد هداها لأحد النجدين الخير العام أو الشر والخسران المبين

أما هذه الواجبات والفرائض فتشمل أموراً ثلاثه هى شروط رئيسيه

أولها : دخول الإنسان بكليته فى حول الله والتسليم لإرادته تحرزا من الضلال وذلك بفناء النفس فى الفكر والذكر والعمل

وثانيها . التغلغل فى الكون ابتغاء استمرار الحياة فيه وطلباً للرقى بالنفس والسمو بها . وذلك بالانطلاق من بيئة الإنسان ونطاقه للنفاذ

صوب الحقيقه العظمى ـ وهى الذات العلية ـ أى النفوذ بالمعرفة والعمل لامتلاك الكون والإفادة منه

وثالثها : تمكين الربيه فى صميم النفس والكون ليضطلع باداء وظيفته طبقا لحاله الخاصية بوصفه خليفة الله ـ بمعنى أن يبسط سلطانه على الكون كله نيابة عن الله بغية ربية الكون وأن يكون فى حكمه صافى النفس غيوراً أشد الغيرة متتبعاً مقتضيات المشيئة ـ وهذه هى مهمة الربانيه ـ واعلم أن هذه الحالة الطبيعية من حالات الانسان هى التى تجعله مستحقاً للثواب والجزاء

وهذه المثوبة وإن كانت من شأن الله تعالى ، فانها ليست إحدى النعم التى ينعم بها على العبد ـ بل هى أقرب ما تكون شيئا فى طبعه سبحانه وفي صميم ناموسه، فالثواب معلق بهذا العمل الطبيعى للربانية ومتسبب عنها . ومن الواجب أن نعلم أن الربانيه إنما هى الحالة الطبيعية لسلوك البشر المألوف وكل حالة أخرى تنافي الربانيه حالة غير طبيعية نشأت من انطلاق الارادة الحرة التى إنما هى سوء استعمال هذه الحرية وهذه الحالة العكسية هي علة الكفاح والتدمير المحكم فى العالم . وذلك الكفاح والتدمير ليس أمراً مفروضاً بل إنه نتيجة نشأت من العمل الفاسد وتنشأ عملية الإبادة والأحياء (التخليق) أيضاً من النقص الجارى فى كل جزئيه فى الكون ومن الحالة الشاذة لانسياب الحريه المؤدية إلى سلوك المرء سلوكا شاذا كفاحاً وتدميراً . فان الناموس الطبيعى للربوبية

وهو القانون الطبيعى يفعل فعله الهائل على الدوام والاستمرار فيغلب على الفعل غير الطبيعى الذى هو التدمير والانحلال

هذا ويجب أن تعلم أن كل الفرائض التى ألزم الله بها الانسان توائم مواءمة تامة المقتضيات المألوفه للطبيعة الانسانية ومن ثم فليس فى فرض هذه الفرائض أنانيه على الاطلاق . فالغرض منها تحقيق الناموس الطبيعى للانسان ابتغاء تحقيق الناموس الطبيعى للكون بحيث يهدف لى التحقيق الكامل لناموس مشيئة الله . فليس ثمة مجال للأنانية ولا احتمال لقيامها على الإطلاق لأن الكائن الأعلى مكتف بذاته فهو لا يحتاج إلى شىء قط ولا يمكن أن يطلب شيئا أو يجد شيئا عند مخلوق ناقص

ويجب أن نعلم أخيراً أن الشعائر هى مظاهر وأسباب لادراك النفس الباطنة فهى رياضات للرقى بالنفس الباطنة ومرغبات إليها . ولذا كانت الطقوس والشعائر من ضرورات حياة الانسان فى جميع أدوارها وأحوالها

على أن ثمة خلافات بين الشعائر نفسها كما أن هناك اختلافات بين الصفات الباطنة الراسخة وبين الملكات . وخير الشعائر وأقومها هى تلك التى توائم تمام المواءمة أرقى الصفات الباطنية

ومن ثم فان فرض مثل هذه الشعائر الصالحة على الانسان من جانب الله ليس بمحال من الأحوال منافيا للعقل أو مثيرا للاعتراض

الفصل الثالث

الله المثل الأعلى الأوحد والهدف الأخير

الله تبارك وتعالى هو المثل الأعلى والهدف الكلّي للعالم بأسره، وهو وحده المرقى المقصود الجامع ولا سواه. إذ أنه الواحد الكامل وكل ما خلاه منقوص.

وطبيعي أن الكامل عماد لغير الكامل — فالشيء الناقص لا يكون سنداً ولا دعامة لناقص مثله. وكذلك غير الكامل لا تعدو صلاحيته أن يكون أداة أو واسطة من عوامل الوصول إلى الغاية ليس أكثر، وتلك خاصية تشمل على العموم جميع الكائنات وكافة المخلوقات وكلها غير كاملة.

كل كائن غير كامل يعتبر إلى حد ما مساعداً أو وسيلة تعمل مع غيرها من باقي الكائنات الأخرى نحو الوصول إلى الهدف الأعلى — لا يستثنى من ذلك حتى الأنبياء ولا الكتب المنزلة ولا الملائكة فأنهم أجمعين في حدود ذواتهم ليسوا هم الغاية بل الوسيلة لبلوغها.

وشبيه بهذا أمر الدين. فالدين كذلك ليس هو المطلوب لذاته ولكنه باب وواسطة لادراك المقصد وهو (الله) عز شأنه، ومن ثم فليست الفضائل أهدافاً بذاتها اذ الحقيقة أن المتحلي بفضيلة أو أكثر لا يبلغ بهذا الإتصاف ذروة الكمال أو يستحوذ على جمّاعه بل حسبه الوصول إلى درجة ماصوب نطاقه لأن يصل وصولا تاماً إلى ادراك سر وجوده — وأنه

والحال ماذكر يقف دون بلوغ الغاية أو أنه يصل إلى نصف الطريق .

فالله سبحانه وتعالى هو المقدم على كل شيء وهو المقصد الحقيق وغاية الغايات — وفى استطاعة كل انسان ادراكه والوصول إليه مع بعض فروق فى الزمن اللازم والوقت المحدد — ومرد ذلك إلى مدى تخطى المرء مايعترض طريقه من صعاب وعقبات وفى أغلب الحالات لايمكن تحديد الأمد وهذا غير هام — فالحياة لاحد لها والساعى المجد إلى الهدف مدركه يوماً على التحقيق .

وفترة العمر فى هذه الحياة الدنيا لاتقعد باللبيب عن المجاهدة لتحقيق الهدف — إذ حياتنا فى هذه الدنيا أن هى الاحقبة واحدة او فترة صغيرة من الحياة اللانهائية .

والدين هو المرشد الهادى إلى الصراط المستقيم الذى يقودنا فى رحلتنا للوصول إلى الله فإذا هو لم يقدنا إلى هذا الغرض انعدمت قيمته وبطلت فائدته

ومن وجهة النظر هذه صار التصوف روحاً للدين يستمد نهجه وفق نظام الحياة العادية لامناهضاً لها — لأن نظام الحياة حقيقة لازمة وواجبة وهامة.

ومن حيث أن حياتنا الأرضية بنظامها الظاهر ذات وجود حقيق وكل وجود مظهر ومجتلى لله فخليق أن تكون حياتنا هذه غير ضرورية أوغير مهمة والحياة الدينية لها أهمية عظمى . ورب سائل أى حياة دينية يسلكها الانسان فالعقائد كثيرة واختيار الأصلح أمر عسير

فاعلم بأن هناك حقيقة كبرى (تلك هى أن الدين واحد) وان اسم هذا

الدين الكامل التام هو «الاسلام» وهو يشمل تخصيص العبادة والتقديس لموجود واحد كامل . هو الله عز وجل . (على أى كيف كنهه وأنى يكون)

وليس الاسلام ملكاً خاصاً لفرد معين أو لجنس خاص أو لأمة بالذات ولا هو عقيدة وجدت لعصر محدد من العصور أو لناحية معينة من نواحى الحياة بل هو (دين الله) الذى جاء وفق ربوبيته من حيث طبيعته وعموميته وعالميته وأزليته . وهو طريق الرشاد للحياة التى توصلنا الى حيث الخلوص الى الله وما كان الاسلام دين نبى من الأنبياء وانما هو دين الله وحده

اضطلع النبيون بتعليمه والتبشير بقدر منه رويداً على التعاقب وان الكتب المقدسة كلها تضمنت وحى هداياته وتعاليمه .

إلا أن كل الديانات والعقائد كانت فى الحقيقة جزئيات من كليات الاسلام وأقباساً من كامل نوره وهداه . وانها كانت جميعها مظاهر للاسلام تمثل روحه وحقيقته على تعاقب الدهور وتتابع الأمم تمشيا مطابقا لتدرج الرقى البشرى ومقتضيات الأجيال ومطالب كل زمان ومكان

هذا فآخر درجات مظاهر الدين وكمال ملاءمتها لطبائع الانسان انما كملت بالاسلام

والنظرية العامة للاسلام ودستوره عملا وقدوة فى فكرة «الربانية» ومدلولها (حفظ الخلق وبقاؤهم) وبمعنى أوضح تدبير الخلق . أو حفظ النوع البشرى عن يد الانسان . وهذا طلاب كل فرد إذ أنها مبعث ميوله ورضائه لكى يحيا بها الحياة الطيبة سالكا طريق العيشة الراضية .

الفصل الرابع

العالم

الله تبارك وتعالى — فضلاً من ذاتيته القدسية له مظاهر (تجليات) عديدة لانهاية لها — تشمل مايعرف « بالكون » أو « العالم » .

والعالم رغم كونه لانهائى فهو محصور فى أربعة أصول عامة .

الروح والمادة والزمان والمكان — وهذه العناصر الأربعة جميعها بدايات مجالى الله بيد أنها مرتبة كالآتى :

الروح وهى أول مظاهره

المادة ثانيتها

الزمن ثالثها

المكان (الحيز) رابعها — هكذا بالتتابع .

فالروح أصل لجميع الكائنات الحية وهى تشمل الروح والمادة كما أن مظهر المادة مصدر لكل الكائنات المادية .

أما الروح فى الذات الالهية فهى صفة الحياة — الحياة والتنفس .

وأما مظهر الزمان في ذاته تعالى فهى المشيئة (الأرادة) .

ومظهر المكان فهو بالنسبة له تعالى (الوسعة — أى اللانهائية) والروح من أدوات الله فى ابراز المادة وإظهارها .

والزمان والمكان اداته فى إظهار الوسعة واللانهائية .

والأربعة اصول كلها اداة الله فى جميع مظهريات الكون وما وراء الكون وما فى الكون .

والروح نوعان : كلية عالية ومحلية .

والأولى (روح واحدة مفردة) أما الثانية فتتعدد فيما لايحصى من أرواح لها درجاتها ومراتبها .

وهذه الأرواح المتعددة فى الروح المحلية لها طبقاتها ففى الدرجة الأولى الأرواح العلوية وهى فى أربع . جبرائيل وميخائيل وعزرائيل واسرافيل .

وهى أرواح موكلة بشؤن أربعة أقسام مختلفة من شؤن الوجود والتجليات والربوبية — (القيومية حفظ الأنواع وبقاؤها) ويتناول عملهم العالم بأسره بواسطة مساعديهم (الأرواح المنبعثة منهم) .

وفوق هذه الأرواح الأربعة — أرواح اخرى لها مقاماتها المحددة التى يتبوؤنها — وأولئك هم حملة العرش .

العـــرش

هو الطباق الأول فى هيكل الآفاق الكونية والسمت الذى تنتهى عنده آخر مدارج العالم المادى — .

وهو الأفق الأعلى لبداية القرب من الدائرة الألهية فى أعلى مقامات الوصول الحقيقى .

وبعد بلوغ هذا المقام فقط – يفصل بين الانسان وبين المولى العلى الأعلى درجتان – درجة الروح العالمية وهى الملأ الأعلى من الملائكة المقربين من الله وهؤلاء الأرواح تنبعث قوتها إلى حمل العرش فسينقر على قواها – ذلك لأن الأرواح جوهرية والعرش مادة فى حالتها البدائية والمادة بخواصها الطبيعية أضعف من الروح .

الفصل الخامس

الأنسان والعالم

النوع البشرى أحدث المخلوقات وجوداً وأعظمها قوة وفاعلية فى عمارة الكون وازدهاره المستديم :

لأن خواص الانسان الكامنة فى طبيعة خلقه تنطوى على حقيقة الكون بأسره فتكوينه مركب من جميع عناصر الكون وهو بذلك عالم فى ذاته وبهذه الخاصية يعتبر أقدر وأكمل المجالى الالهية طراً .

وعلى هذا الأساس أعطى الانسان مرتبة خاصة هى انه (خليفة الله)

« إنى جاعل فى الأرض خليفة »

أى أنه نائب عن الله . وهى حالة خاصة لا يشاركه فيها أى كائن غيره فى العالمين ذلك بأن الانسان قد خصه الله بميزة كونه أقرب وأخص المجالى الألهية ومن ثم فهو فى درجة يحقق بها الاتصال الالهى وهو بهذا الامكان حائز للقب « الربانى » الذى معناه اللفظى رب صغير تحت الرب العظيم وايضاح ذلك . أن الانسان قائم مقام الرب تحت إمرة وسلطان الرب العلى الأعلى « رب العالمين » . الحفيظ القيوم على العالمين .

ولقد حاز الانسان هذه المرتبة العلية لكى يؤدى واجبه نحو الربانية (التدبير الانسانى للكون) بوصفه أكرم أداة وأعظم خادم لله تعالى .

« ولقد كرمنا بنى آدم »

وهذا هو المقصود من معنى « خليفة الله » والخليفة المساعد أو النائب « كنائب الملك » ولله المثل الأعلى . فالانسان اذن « نائب عن الله فى الأرض » وبهذه الصفة فهو الحاكم على الكل ولكنه العبد للواحد الأحد الذى هو أحكم الحاكمين ذو الجلال والاكرام .

وتبعاً لهذه الصفة النافذة بأمر الله وبمشيئته . اختص الانسان بواجبين . وتحمل مسئولية مزدوجة . الأولى مسئولياته وواجباته حيال ربه والأخرى واجباته ومسئولياته الناشئة عن علاقته بالعالم .

فحق عليه أن يتحمل أعباء هذه المسئوليات والواجبات المزدوجة مع الاحتفاظ فى الوقت ذاته بالموازنة الصحيحة بين علاقته بالله وعلاقته بالعالم ولا يستطاع ضبط هذا الميزان إلا عن دوافع داخلية وأخرى خارجية فالأولى مبعثها الغريزة الفطرية الباطنة المتغلغلة فى قرارة النفس والأخرى مبعثها العوارف الأخلاقية والمظاهر العامة التى يشترك فى الشعور بها والتأثر بعواملها الناس كافة .

وعلى العموم فالحفاظ على هذه الموازنة هام وأساسى لواجبات وظيفة الانسان والمقياس الضابط « الترمومتر » لجميع مميزات الانسان نفسه .

فاذا هو صان التوازن . فقد احتفظ بصفة الانسان المكمل الموفق وان هو فرط فى إقامة هذا الوزن بالقسط استحال قدره وتبدل مقامه

واختلت مقاييس اعتباره فهو إما ملك كريم إن ثقلت كفة ميزانه فى الناحية الأيجابية حين تتغلب علاقته بالله على علاقته بالدنيا.

وهو شيطان رجيم إذا خفت موازينه ميلا إلى الناحية السلبية نتيجة طغيان علاقته بالدنيا على علاقته بالله.

وأما من فقد هذا الميزان اطلاقاً وأفلت من قبضته فهو فى مرتبة البهائم حيث تكتسح انفراديته كلا العلاقتين رابطته بالله ورابطته بالعالم وذلك بانقطاعه إلى ذاتيته وأنانيته ونفسانيته الفردية.

ألا وإن ضابط هذا الميزان وصماصة الأمن فى هذا التفاعل هو (الربانية). وهى التبعة العظمى والأمانة التى حملها الأنسان (إذ هو خليفة الله فى الأرض ليجرى فيها الربوبية قولا وعملا ومقصداً ونية وسعيا وانتاجا فى جميع الشئون كليات وجزئيات دنيا وعقيدة وسياسة ومعاملات وأغراض).

وأنه لهو الانسان الذى حمل الأمانه (الخلافة) التى عرضها الخالق على الكائنات باختلاف أنواعها فما كانت بطبيعة خلقها وتكوينها ونوع صلاحيتها واستعدادها بمستطيعة، واختص بها النوع البشرى لصلاحيته لحمل هذه الأمانه بحكم استعداده وفطرته وامتيازه بالعقل والارادة وكمال لياقته لتمثيل الله عز شأنه فى عالمنا الأرضى والعمل فيه تحت توجيهه تعالى وطبق مشيئته وتقديره وأمره.

فالأنسان بما آتاه الله من موهبة الادراك والقدرة على التغيير والتحول والحكم قادر على أن يجعل من نفسه أحد هذه الطبقات الأربع. فيكون

إنساناً أوملكاً أو شيطاناً أوحيواناً وعليه أن يعلم حق العلم بأن (الانسان) أعظم وأكرم وأعلى مقاماً من كل من الملائكة والجن والبهائم وكل المخلوقات الأخرى .

وحيث أن هذا مقامه فقد وجب عليه أن يعمل على أن يكون « إنسانا » بل ومن واجبه أن يكون « إنسانا ولا غيره » لكى يتبوأ المقام الأعلى بين الكائنات طراً وأن لا يعلو عليه إلا الله العلى الأعلى .

وبلوغ هذا المرتقى سهل يسير عن طريق واحد هو أن يصير « ربانيا » متمسكا بأصول الربانية عاملا بمبادئها مستغرقا فى تحقيق تعاليمها واتباع هداياتها . ومغزاها وغاية الخلق وتربيتهم .

والربانية بمعناها الحقيق تهدف إلى التعمق والاستغراق فى الله على نهج وصراط مستقيم مع ربيته تعالى مستشعراً ذلك فى أعماق نفسه ليشرب فى قلبه الربية (صفة لله فى ربانيته للكون) طبقا لقوانين الربوبية الالهية عاملا دائباً فى ظل أحكام المشيئة الالهية .

والربانى هو الذى يبلغ هذه الدرجة أو الذى يحاول ما استطاع أن يصل اليها جاهداً مثابراً صادق العزم والتصميم .

مهمة عظمى من مهام الاسلام

أعظم رسالة للاسلام قيادة النوع البشرى وتوجيهه إلى طريق الربوبية بمعنى أنه يهدى الانسان إلى معرفة نفسه وحقيقتها مستلهماً فى سلوكه هدى الربوبية للعالم من طريق العلم والمعرفة وخلوص القصد إلى العمل فى نطاق دائرته تحت ربوبية الله العليم الحكيم :

الحركة الربانية

الغرض من الدعوة الربانية خدمة الاسلام بتأدية رسالته الكبرى للربانية (حفظ النوع البشرى وصون السلامة والبقاء للعالم) عن يد الانسان وبطريقته ، ولا يتحقق هذا الغرض الا بالأخذ بالفلسفة الربانية وتعميم نشرها وقبولها وهى ترمى إلى بث الدعوة الربانية وتقويتها وتعميمها ونفاذها ودوام نشاطها ومضاعفة ازدهارها .

وأول درجات تأسيسها — والقدم الأول فى انشائها تنظيم جماعات ربانية وتكوين هيئات ربانية فى جميع أقطار الأرض ومختلف أركان المعمورة .

وآخر دعواها ونفير ندائها إلى الانسانية قاطبة — وآية شعارها .

أيها الناس « كونوا ربانيين »

انتهى

تصحيح الاخطاء المطبعية

الصحيفة	السطر	خطأ	صواب
٣	١٠	سلامنان	اسلامستان
١٥	٣	خلالها	خلالها
٢٢	١٠	وقولا	ولا
٢٤	٧	لله	الله
٣١	٢	الموجود والحقيقة	الوجود الكامل والحقيقة
٣١	٩	لأشاياه	الأشياء
٣٢	١١	كائن	وكائن
٣٧	٤	الغريزية	الذاتية
٤٢	١٢	فالمشيئة	أما الكيفية والمن فى ذلك فالمشيئة
٥٧	١٣	الخاق	الخالق

[redacted]
سبحانى ، ازاد
الله والعالم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000090

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866

[redacted]

General Library

297.31
Su94tA